۱۶۵۲۶

مجله	حضارة الاسلام
تاریخ نشر	شوال ۱۴ -
شماره	۸-۹-۱۰ سال ۲۱
شماره مسلسل	
محل نشر	دمشق
زبان	عربی
نویسنده	انور الخطیب
تعداد صفحات	۴۴ - ۵۷
موضوع	النبوة
سرفصلها	النبوه فی القرآن
کیفیت	
ملاحظات	

معلمة الاسلام :

النبوّة

للأستاذ أنور الجندي

١ ــ من أجل أن يبلغ الحق ــ تبارك وتعالى ــ الى الانسان رسالته ومهمته في الحياة ، ويكشف له عن أمانته التي حملها ، وعن مسؤوليته إزاءها ، بعث الله الانبياء والرسل الى الامم جميعا مبشرين ومنذرين .

وكان الوحي هو واسطة التبليغ بين الله سبحانه ، وبين الرسل ، والنبي أو الرسول فرد من الناس اختصه الله سبحانه بالوحي اليه ، فالنبوة منحة إلهية يهديها الله لمن يصطفيه من البشر ليكون مبلغا بين الله وعباده . ويعد الله ــ سبحانه ــ من يصطفيهم لهذا الغرض اعدادا ، ويؤهلهم لان يكونوا أكفاء في حمل الرسالة وأداء المهمة فيزودهم بالفطرة السليمة ، ويؤدبهم بأدبه الرباني ، فتصل نفوسهم الى قدر من الكمال ، يتميزون به ، ويكونون به أهلا للتلقي عن الحق تبارك وتعالى ، ويتم الوحي بين الله سبحانه ، وبين رسله عن طريق الملائكة :

« وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء » (الشورى : ٥١) .

والاديان كلها وحي إلهي ومن منبع واحد ، أرسل الله سبحانه بها الرسل ليحرروا الناس من استرقاق هوى النفوس ، ولقد شاء الحق ــ تبارك وتعالى ــ أن يجعل لكل أمة رسولا من أنفسهم ، وأرسل اليهم كتبا بلغاتهم والسنتهم :

« وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » (ابراهيم : ٤) .

٢ ــ لم يكن الانسان حين أخذ يدرج في الارض ليعرف لماذا جاء ؟ وما هي رسالته ؟ ولا من أين جاء ؟ ولا الى أين ينتهي ؟ ولا ما هي علاقته بالكون

وبالحياة أو بخالق الحياة والكون تبارك وتعالى ؟ ولذلك فقد جاء الرسل مبلغين بهذه الرسالة :

« لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (النساء : ١٦٥) .

ان الخالق ــ تبارك وتعالى ــ للانسان ولهذا الكون ، قد رسم نظاما للحركة والحياة ، على المؤمن بالله أن يسير عليه ، وكل البشر مدعو الى هذا ان شاء ، ما هو هذا النظام ؟ ذلك هو ما ناط به الحق ــ تبارك وتعالى ــ الانبياء والرسل ، الذين اختارهم من أصفى الناس سريرة وأحسنهم خلقا :

« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (الحديد : ٢٥) .

فبينوا ، وبلغوا وحذروا من خطر الانحراف عن المنهج الحق ، وكانوا بأعمالهم وسلوكهم قدوة للبشر ، وأنموذجا عاليا لتطبيق رسالة الله في الارض ومنهجه في الحياة .

٣ ــ أيد الله الانبياء والرسل بالآيات البينات ، والمعجزات الباهرات ليجعل من ذلك قوة تهدي إليهم القلوب ، وتكشف عن حقيقة صلتهم بالله تبارك وتعالى ، والانبياء معصومون عن ارتكاب الذنوب مبرؤون من العيوب ، وان كانوا يتعرضون للصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والحياة والموت ، ويجب في حقهم : الصدق والامانة والتبليغ والفطانة ، ويستحيل في حقهم : الكذب والخيانة والكتمان والبلادة ، ويجوز في حق الانبياء من الاعراض البشرية ما يجوز في حق الناس : الاكل والشرب والنوم واليقظة والزواج والتوالد ، ولكنهم مع أنهم بشر ، فهم مؤيدون بالوحي في أمور الدين ، منزهون عن السيئات والمعاصي .

٤ ــ جاءت النبوة بعد أن تنازع الناس ، وأفسدوا في الارض ، وحادوا عن الطريق المستقيم ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وموجهين الى الحق والهدى ، فالرسل في حقيقة أمرهم منقذون لقومهم من ظلمات الجهل والضلال

والشرك والوثنية ، مخرجون لهم من الظلمات الى النور :

« ان اخرج قومك من الظلمات الى النور » (ابراهيم : ٥) .

وقد شاءت رحمة الله بالبشرية أن لا يعاقب أمة قبل أن يبعث إليها رسولا يدعوها الى الخير ، وينهاها عن الشر .

و لاريب أن في اختيار الله ــ سبحانه ــ لرسله من البشر حكمة عالية ، تتمثل في سهولة اتصال البشر بهم ، والاخذ عنهم . وهم المعروفون في قومهم من قبل الرسالة بالبر والخير والايمان ، ولو كانوا ملائكة لما استطاع البشر أن يأخذ عنهم ، ولانهم من جنس آخر غير الجنس البشري الذي أرسلوا إليه بالهدى ، ذلك أن الملائكة ليسوا بشرا ، وتختلف طبيعتهم عن طبيعة البشر ، ولذلك قال تعالى :

« ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » (الانعام : ٩) .

ذلك لان البشر ليس في استطاعتهم رؤية الملك في صورته الا بعد أن يتجسد في الصورة البشرية ، ولو جعل الله الرسل الى البشر ملكا لنفروا من مقابلته .

ومهمة النبي والرسول هي دعوة الخلق الى عبادة الله الواحد القهار ، وتبليغ أوامره عز وجل ، ونواهيه الى البشر ، وهداية الناس وارشادهم الى الصراط المستقيم ، وليكون الرسول قدوة حسنة وأسوة صالحة للبشر ، ومن مهمتهم التذكير بالنشأة والمصير ، وتعريف الناس بما بعد الموت من بعث وحساب وجزاء . وتحويل اهتمام الناس من الحياة الفانية الى الحياة الباقية .

٥ ــ والانبياء لهم مكانتهم الخاصة بين البشر ، وتميزهم بحمل رسالة الله الى الخلق والدفاع عنها ومباشرة الاتصال بالناس يوما بعد يوم ، وهم في طبيعتهم وهدفهم ربانيون ، لا يطلبون أجرا على رسالتهم ، وهم غير معقدين ولا جبارين ، يخلصون دينهم لله ، ويوضحون الاهداف والغايات ، وهم في حياتهم الخاصة : يؤثرون الآخرة ، ويزهدون في الدنيا ، وهم في مجموعهم يمثلون صفوة الجهد الانساني الكريم المؤيد بالوحي الذي قدم للبشرية خير

ما عرفت من العلم والحكمة ، وهم الذين وجهوها الى الخير والرحمة والعمل الصالح . ودورهم أكبر من دور الابطال والقادة والزعماء الذين تمتلىء بآثارهم الكتب والمؤلفات .

ويمثل الانبياء في مجموعهم وحدة الرسالة الالهية ، فهم منذ رسالة نوح عليه السلام الى خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، إنما يمثلون منهجا واحدا ، على المسلم أن يؤمن به كله من غير تفرقة ولا تفضيل بين أحد من الرسل ، رسالتهم رسالة واحدة ، هي رسالة الاسلام ، ودعوتهم دعوة واحدة ، هي التوحيد ، وهي رسالة عامة موجهة الى الناس في جميع أجناسهم ولغاتهم الى يوم الدين .

والانبياء في صميم وظيفتهم ، يقومون بالارشاد والتعليم مبشرين ومنذرين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ، فهم القادة الحقيقيون للامم وللبشرية ، وهم ليسوا وكلاء أو مسيطرين أو دعاة الى حق خاص بهم .

٦ ــ ودعوة الانبياء ليست عملا ذاتيا ، وليست زعامة فردية ، فهم انما يحملون رسالتهم ، ويؤدون واجبهم بوحي وتكليف من الله تبارك وتعالى ، فليست دعوتهم نابعة من نفوسهم ، وليست نتيجة للعوامل الاجتماعية في زمانهم ، أو مما تمخضت عنه أفكارهم أو مشاعرهم مما يعانيه الناس ، بل هي وحي وتكليف ، ومن هنا فان العلم الذي ينشرونه بين الناس ، والعقيدة التي يدعون اليها ، والدعوة التي يقومون بها ، لا تنبع من ذكائهم أو حميتهم أو من شعورهم ، وانما مصدرها الوحي والرسالة ، ولذلك فهم لا يقاسون على الحكماء والزعماء والمصلحين ، أو القادة الذين عرفهم تاريخ البشرية ، ومن أجل ذلك لا يخضع الرسول لعوامل نفسية خاصة ، أو حوادث وقتية ، ولا يدار برسالته حيث دارت الاحوال والاوضاع أو شاء المجتمع ، ولايستطيع أن يحدث تغييرا أو تبديلا أو تحويرا في رسالته :

« قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي » (يونس : ١٥) .

ومن هنا فلا يقاس الانبياء على ما يقاس عليه الزعماء والقادة ، لانهم ليسوا قادرين بحكم عصمتهم وتكليفهم الرباني من الله أن يعرفوا أو يصطنعوا

ما يسمى المرونة أو مراعاة المصلحة ، وهم لا يقبلون المساومة على شيء من أمور الدعوة ، مهما كان الثمن .

٧ ــ الوحي هو ما يلقى الى الانبياء من ربهم ، وهو مصدر الدعوة التي يدعونها ، والرسالة التي يحملونها الى الناس ، والرؤيا الصادقة هي أولى مراتب الوحي ، ومن الوحي : القاء الملك في روع النبي وقلبه من غير أن يراه « ان روح القدس نفث في روعي » أو يتمثل الملك للنبي بصورة رجل ، فيراه عيانا ، ويخاطبه حتى تعي عنه ما يقول ، أو يأتيه مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده ، فيلتبس به الملك حتى يتفصد جبينه عرقا في اليوم الشديد البرد ، أو أن يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي اليه ما يشاء .

واول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي : الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، حتى جاءه الملك جبريل ، وهو في غار حراء ، فقال : « اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، فأخذني ، فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني ، فغطني الثالثة ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم » .

ويقول أصحاب العلم : ان الوحي يقتضي من صاحبه استعدادا يهيئه الله تعالى في أولئك الاخيار الذين اصطفاهم من خلقه لهذه المنزلة .

قالت عائشة رضي الله عنها : ان الحارث بن هشام سأل رسول الله فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا ، فيكلمني ، فأعي ما يقول .

وقالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وان جبينه ليفصد عرقا .

وقال أصحاب العلم : انه في حالة الوحي ، ينخلع النبي من صورة البشر

الى صورة الملائكة ، وينخلع الملك الى البشرية حتى يأخذ الرسول منه ، وكان اذا نزل عليه الوحي ، ثقل جسمه حتى يكاد يرض فخذه فخذ الجالس على جانبه ، وكان اذا نزل عليه الوحي ، بركت به راحلته .

وهناك التلقي للوحي من الله تبارك وتعالى من غير واسطة ، وهو أعظم المراتب وأسماها شرفا .

٨ ــ والوحي اعلام الله لنبي من أنبيائه بأمر من أمور الدين بواسطة أو بدونها ، وقيل : هو عرفان يحسه النبي في قلبه مع اليقين بأنه من قبل الله تعالى بواسطة أو بدونها . وهناك فرق بين الوحي والالهام ، فالوحي للانبياء فحسب ، ولكن الالهام قد يكون لغير الانبياء ، والوحي مصدره الوحيد هو الله تبارك وتعالى ، والالهام اكتساب ووجدان تستيقنه النفس ، وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى ، أما الوحي فانه يكون مصحوبا بيقين النبي بأنه من قبل الله تعالى .

والايمان بالوحي من دعامات الايمان بالله ، وهو باب الايمان بالغيب ، وما يتصل به من كل مالا يدخل في دائرة المحسوسات .

ولا ريب أن كان تصور الانسان لله ــ تبارك وتعالى ــ ولمهمته كانسان ولعلاقته بالكون والحياة قاصرا شديد القصور بغير معرفة حقائق الوحي ، وقد عجزت الفلسفة أن تقدم للانسان مفهوما صحيحا يستقر في النفس ، وتسكن اليه الروح .

كذلك فان النفس الانسانية تلتمس دائما أهواءها ومطامعها ، أما العقل ، فانه يقصر عن ممارسة ما ليس من وظيفته البحث عنه ، ولذلك جاء تصور الفلسفات لله تبارك وتعالى قاصرا عاجزا ، ومن أجل ذلك ومن قبل ذلك جاء الوحي حاملا للبشرية المفهوم الصحيح والاصيل .

ولقد تبين أن العقل وحده غير كاف لفهم هذه الامور ، ولا بد من الحاجة الى نبي ووحي ، وهذا النبي يعاضد العقل ، ويؤكد حكمه ، ويجعله موثوقا فيما يستقل العقل بمعرفته ، فيكونان دليلين على مدلول واحد ، يرشد العقل ويهديه فيما لا يتصل بمعرفته مثل المعاد ، ويكشف عن وجوه الاشياء التي لا

يدرك العقل حسنها وقبحها .

وقد التقى الوحي والعقل في القرآن لاول مرة ، وعلى العقل أن يتخذ من الوحي هاديا ومرشدا ، والا فانه يعجز كل العجز عن الوصول الى المعرفة الصحيحة لما وراء الطبيعة ولأمور كثيرة .

ولقد أشار كثير من الباحثين الى هذه الحقيقة ، ذلك أن العقل وحده لا يستطيع التعرف على المصلحة ، بل انه في حاجة الى ارشاد الشرع ، والعقل قد تحجبه الاهواء والشهوات والامراض والاغراض النفسية ، أما الشرع ومصدره الوحي . فانه هو القاعدة الثابتة التي لا تتأثر بتغيرات النفوس لانها من عند الله .

والمسلم يؤمن بأن القرآن ليس انطباعا في نفس النبي ، كما تحاول بعض الشبهات المثارة أن تقول ، ذلك أن هناك فارقا واضحا بين كلام النبي وكلام القرآن ، والقرآن من عند الله ، وهو وحي إلهي ، ويختلف في أسلوبه وطريقته ونظامه عن كلام النبي .

كذلك فالمسلم لا يقبل القول الذي تطرحه الدعوات الهدامة بأن القرآن فيض من عقل النبي الباطن ، ولا تغرينا الاشادة بعبقرية محمد وأميته وصفاء نفسه خداعا من أجل نسبة القرآن إليه ، فالقرآن وحي إلهي نزل على قلب النبي ، وهو مبلغ له ، وتلك واحدة من المحاولات التي تستهدف قطع الصلة بين المسلمين والقرآن ، فان القرآن اذا قيل : انه من عمل البشر ، فقد معناه الاسمى ، وتفرق المسلمون ، وانتهى أمر الاجماع عليه ، ونحن نعرف أن رسول الله محمدا كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فمن الذي أطلعه على أن ما في القرآن مصدق لما في التوراة ، ولقد كان علمه بشؤون قومه ، لا يزيد عن علم غيره ، فمن الذي أطلعه على قصص الاولين ؟ .

٩ ـ للوحي القرآن : القرآن والسنة ، فكل من القرآن والسنة وحي من الله بدليل قوله تعالى :

« وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى » (النجم : ٣ ـ ٥) .

أما وحي الله تعالى الى نبيه في القرآن ، فهو باللفظ والمعنى معا أما السنة ، فهي وحي أيضا ، ورد به جبريل ، ولكنه ليس في مرتبة القرآن .

١٠ ـ اتسمت دعوة الانبياء بأسلوب الفطرة وعدم التكلف والتعقيد :

« وما أنا من المتكلفين » (ص : ٨٦) .

ثم هي دعوة الى الحكمة والموعظة الحسنة :

« وجادلهم بالتي هي احسن » (النحل : ١٢٥) .

وأسلوب الفطرة بعيد عن المناهج الفلسفية والكلامية ، يقول الامام الغزالي : ان أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ، ينتفع به آحاد الناس ، ويتضرر به الاكثرون ، بل ان أدلة القرآن مثل الماء الذي ينتفع به الصبي والرضيع والرجل القوي ، وسائر الادلة كالاطعمة التي ينتفع بها الاقوياء مرة ، ويمرضون بها أخرى ، ولا ينتفع بها الصبيان أصلا ، ولقد تبين لكثير من علماء المسلمين بعد أن خاضوا في أساليب الفلسفة والكلام والجدل أن أسلوب القرآن هو أسلوب الفطرة ، انه الوحي المنزل من السماء ، وفي هذا يقول الرازي في آخر عمره : « لقد تأملت الطرق والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا ، وتروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق . هي طريقة القرآن في وضوح الغاية وسلامة القصد :

« قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما إنا من المشركين » (يوسف : ١٠٨) .

وفي هذا يقول الرسول الكريم :

« لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك » .

وتحن تعرف أن الفلسفة تنافي النبوة ، وتعارضها على خط مستقيم منذ النقطة الاولى ، لانها تبدأ من منطلقات الشك والفرضية والظن والاحتمال ، وتصف الكون بأنه صدفة ، أو قديم ، بينما تنطلق النبوة من الوحي الصادق

المنزل من عند الله بالحقيقة الاصيلة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفهـا •

١١ ــ يقرر العلماء أن عقيدة التوحيد وصلت الى العالم والبشر بالهام إلهي ، ثم جاء العقل مدللا عليها، ولقد حاولت البشرية أن تفهم الالوهية ومهمة الانسان بهواها ، فضلت وشقت لانها انحرفت عن عقيدة التوحيد التي أهداها الحق ــ تبارك وتعالى ــ الى الناس جميعا ليهتدوا بها وليسعدوا ، فكـانت النبوة عاملة دائبة على تصحيح فكرة الناس عن الالوهية والتوحيد الخالص ، كلما انحرف الناس عنها جيلا بعد جيل • ولذلك كان مصدر الدين الحق هو الوحي ، وكان مصدر العقيدة الاسلامية خاتمة الرسالات ، هو النبوة المحمدية التي أوحى الله إليها القرآن •

ولقد كان نزول الوحي بالرسالة على محمد صلى الله عليه وسلم آية من آيات الله في تقرير اختيار من شاء لرسالته ودعوته ، وان هذا الاختيـار لا يستتبع ــ بالضرورة ــ أي معنى من المعاني البشرية التي يقيس الناس بهـا عظمة الزعماء والابطال ، فقد اختار الله ــ تبارك وتعالى ــ محمدا ليكون خاتم المرسلين وسيد الخلق ، وأنزل رسالته الكبرى عليه ، وهو : اليتيم ، الفقير ، الامي ، الذي لا يملك من أسباب القوة والغنى والجاه شيئا ، وليس له من مظاهر السلطان والملك مما يجعله في نظر قومه عظيما بمقاييس البشر ، حتى قال أهل مكة : (لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) فأجاب الحق تبارك وتعالى :

« اهم يقسمون رحمة ربك » (الزخرف : ٣٢) •

ومعنى هذا أن الحق ــ تبارك وتعالى ــ يعلم أين يجعل رسالته •

وفي ذلك تحـد واضح للقيم المادية التي تقوم عليهـا مذاهب البطولة والعظمة في العصر الحديث ، اذ تفترض أن يكون العظيم أو البطل مستكمل الصورة المادية ، بينما يختار الحق تبارك وتعالى لاعظم مراتب العظمة النبوية محمدا اليتيم الفقير الامي ، ذلك لان مقاييس الحق ــ تبارك وتعالى ــ تختلف

تماما ، وتقوم على معنويات أساسية ، فهو الامين الذي ما عرف عنه قومه كذبا قط ، وهو النقي الذي ما عرف الخنا لحظة واحدة في حياته ، وهو المختار من الأصلاب والانساب بتقدير الله تبارك وتعالى ، ثم هو الذي علمه ربه ، وأدبه ، وأعده للمسؤولية الكبرى •

ولقد ظنت قريش أن النبوة لا بد أن تكون في أشرافهم وظن اليهود أن النبوة لا تخرج عن بني اسـرائيل •

وذلك مفرق واضح بين النبوة والملك، فالنبوة لا تكون بالارث والغنى ، والسلطان حظ مشترك بين المؤمن والكافر ، وقد كان النمرود وفرعون وهامان أصحاب بأس شديد وسلطان وغنى ، ولكنهم كانوا من أعداء الله •

ان النواميس العامة التي تقوم عليها النظريات الوافـدة تقول : ان من يولد يتيما وفقيرا وأميا لا يسـتطيع أن يصل الى مكان القيـادة ، ولكن الله ــ سبحانه وتعالى ــ حطم هذا القانون باختياره الانبيـاء على نحو آخـر غير هذه المقاييس المادية ، ذلك أن الله سبحانه قدم نماذج من بني البشر ممن كانوا رعاة للاغنام ، فأصبحوا قادة لامهم ، فلـم يكن الاختيار بمقـاييس البطولات أو الاسر أو الاجناس أو الانساب ، ولكنه كان بمقياس آخر ، وقدم الله أنبياء من غير أب ، وخلق أنبياء من آباء كبار وأمهات عجائز مخالفا للقانون القائم على الاسباب ، ليعلموا أن الله على كل شيء قدير ، هؤلاء الانبياء الذين يختارهم الله على نسق خاص ، انما يصنعهم على عينه ويجعلهم نماذج خاصة ممتازة قادرة على حمل أعباء التكليف الصعب ، أولئك هم أولـو العزم من الرسل الذين عرفوا بالصبر والحكمة :

« وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا ، واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » (الانبياء : ٧٣) •

١٢ ــ والانبياء ليسوا على درجة واحدة في الفضل والمكانة ، بل ان بعضهم أفضل من بعض ، وقد جعلهم الله درجات :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » (البقرة : ٢٥٣) •

« ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » (الاسراء : ٥٥) .

وهناك أولا : الفرق بين النبي والرسول : فالنبي انسان من البشر أوحي الله إليه الشرع ، ولكنه لم يكلف بالتبليغ ، أما الرسول ، فهو انسان من البشر أوحى الله إليه بشرع ، وأمر بتبليغه ، فالرسالة ــ اذا ــ أعلى مرتبة من النبوة لان كل رسول نبيء ، وليس كل نبي رسولا .

وعدد الانبياء لا يحصى اذ يزيد عددهم على ما جاء في بعض الآثار عن مائة وعشرين ألفا ، أما الرسل ، فهم قلة والذين ذكروا في القرآن يجب الايمان بهم تفصيلا ، وهم خمسة وعشرون ، وكلهم من الرسل :

آدم ، نوح ، إبراهيم ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، داود ، سليمان ، أيوب ، يوسف ، موسى ، هارون ، زكريا ، يحيى ، إدريس ، يونس ، هود ، شعيب ، صالح ، لوط ، إلياس ، اليسع ، ذو الكفل ، عيسى ، محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

وهؤلاء يتعين الايمان بهم تفصيلا والتصديق برسالتهم وأشخاصهم وأسمائهم ، لانهم ذكروا في القرآن الكريم ، أما بقية الانبياء فيجب الايمان بهم جملة ، نصدق بأن هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب العزيز لان الرسول أخبر عنهم بقول القرآن :

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » (النساء : ١٦٤) .

وفي حديث رواه الامام أحمد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال : قلت : يارسول الله ! أي الانبياء كان أول ؟ قال : آدم ، وقلت : يارسول الله ! ونبي كان ؟ قال : نعم ! نبي مكلم ، قلت : يارسول الله ! كم المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا ، وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر : قلت : يارسول الله ! كم وفاء عدة الانبياء ؟ قال : مائة ألف وعشرون ألفا : الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا رواه أحمد .

الرسل مأمورون بتبليغ الرسالة ، وانهم يختلفون عن الانبياء في هذه النقطة بالذات :

« الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا » (الاحزاب : ٣٩) .

« يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدي القوم الكافرين » (المائدة : ٦٧) .

وأولوا العزم هم قادة الانبياء وسادتهم ، وقد أمر الحق تبارك رسوله أن يقتدي بهم في جهادهم وصبرهم .

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (الاحقاب : ٣٥) .

فقد كان ابتلاؤهم شديدا ، وجهادهم كان شاقا مريرا ، فمنهم من صبر على البلاء والتكذيب القرون الطويلة ، وتعاقبت عليه الاجيال العديدة ، ولكن حياته كانت محنا وشدائد ، كنوح عليه السلام الذي لبث في قومه قريبا من ألف عام ، ولم يؤمن معه إلا قليل :

« ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون » (العنكبوت : ٤٠) .

« وما آمن معه الا قليل » (هود : ٤٠) .

ومنهم من وصلت به الشدة والكربة ، وناله من قومه الشدائد والاهوال الى درجة أنهم حكموا عليه بالتحريق بالنار ، كابراهيم عليه السلام : خليل الرحمن ، فقد كانت عقوبته في سبيل تبليغ دعوة الله ، الاحراق بالنار ، ولكن الله ــ عز وجل ــ نجاه ، فأمر النار أن تكون بردا وسلاما عليه .

وبقية أولي العزم كموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، كلهم أوذوا ، واضطهدوا ، وشردوا ، فتحملوا الاذى والعذاب ، وصبروا على البلاء والشدة .

« فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين » (آل عمران : ١٤٦) .

ولقد كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم المرسلين ، والايمان به ثابت في كل الكتب السماوية ، بل وما بعث نبي أو رسول قط الا أخذ الله تعالى عليه العهد والميثاق إن أدرك محمدا في حياته : ليؤمنن به وليكونن من أنصاره وأتباعه :

« واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول

مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال : اأقررتم واخذتم على ذلكم اصري (اي عهدي) ، قالوا : اقررنا ، قال : فاشهدوا ، وانا معكم من الشاهدين » (آل عمران : ٨١) .

وتلك أفضلية رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل ، وبيان أنه أشرفهم وأفضلهم ، ولقد خاطب الله ـ سبحانه وتعالى ـ الانبياء بأسمائهم التي سموا بها إلا محمدا ، فقد خاطبه الله ـ تبارك وتعالى ـ بوصف النبوة والرسالة إظهارا لعظمة قدره وجلال فضله .

« يا ايها النبيّ ! أنا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » (الاحزاب : ٤٥) .

« يا ايها الرسول ! بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل ، فما بلغت رسالته » (المائدة : ٦٧) .

ولا نجد في القرآن آية فيها خطاب للنبي باسمه الصريح مثل ما جاء في خطاب الانبياء ، وإنما تخاطبه كل الآيات الكريمة بلفظ النبوة أو الرسالة .

والرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبي ورسول ، فقد اوحي إليه من ربه بكل أنواع الوحي من مكالمة وإرسال ملك وإلهام ومقام ، وأمر بتبليغ شرع عام خالد الى الناس كافة ، بل الى الانس والجن :

« قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » (الاعراف : ١٥٨) .

١٣ ـ لما كان الانسان بطبيعته ، لا يستطيع إقامة الحق ، فقد أرسل الله الانبياء بالوحي وبالرسالات لتكون دعائم أساسية لاقامة الحق بعيدا عن أهواء الانسان ورغائبه ، وحجة التكليف الرباني الذي هو أمانة البشرية لله ، وتقديرا للمسؤولية الفردية التي تقوم على الارادة البشرية ، والتي هي مناط المسؤولية والحساب والجزاء .

وكذلك زود الله الانسان بالوحي وبالعقل ، فالوحي قد قدم له صورة كاملة عن الغيب ، ورسم له منهجا كاملا للحياة ، وأبان له عن رسالة وأمانة ومسؤولية ، أما العقل ، فهو دليل الشرع ، ومناط التكليف ، وهو أداة العمل لعمران الارض والسعي فيها واستخراج كنوزها وكشف مجاهلها .

وما زال الانسان ـ بالرغم من الوصول الى أعلى درجات العلم المادي ـ غير قادر على تحقيق رسالته وأمانته على الوجه الاكمل ، وما تزال أهواؤه تدفعه إلى الخطأ والظلم والتردي .

١٤ ـ النبوة : سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لازاحة علتهم

في أمر معادهم ومعاشهم . ومدار النبوة على الوحي والاخبار على الله تبارك وتعالى ، فالنبي هو المخبر عن الله ، والنبي سفير بين الله وخلقه ، ومن هنا فلا يوصف النبي بالعبقرية أو البطولة أو الزعامة ، ذلك أن هذه الاوصاف كلها ليست مبنية على الوحي من الله ، وانما هي نوع من الزعامات الاجتماعية التي تحاول امتلاك القدرة على ايجاد الحلول .

ومن أبرز ما عني به القرآ في أمر النبوة : أنه فصلها فصلا تاما عن الالوهية ، وجعل من المستحيل تحولها إليها فمحمد رسول الله يأكل الطعام ، ويمشي في الاسواق ، وهو ككل البشر عرضة للموت أو القتل ، ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤكد هذا المعنى في كل تصرفاته حماية لمقام الالوهية الاكبر : خالق البشر والانبياء جميعا ، والذي يقف على تأكيد هذا المعنى حتى لا يقع المسلمون فيما وقعت فيه الامم السابقة من تأليه أنبيائهم وزعمائهم .

وبطولة الرسول ربانية ، وليست بشرية ، وخطأ الذين ينظرون إليه على أنه زعيم قومي أو عبقري أو بطل محارب أنهم يقيسونه بالمقياس المادي وحده ، وهو غير مقياس الاسلام ، واذا كان الابطال عسكريين أو قوميين ، أو مفكرين ، فان النبوة جامعة لهذه الصفات الثلاث في إطار الوحي ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الوحيد بين البشر الذي جمع بين الرسالة والدولة ، أو بين المنهج والتطبيق فبطولته تختلف عن البطولات البشرية ، وهذه هي المعجزة الالهية .

ومن أبرز مميزات النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تاريخه كامل . وأن سنته بين أيدي الناس جميعا ، وترسم طريقته وسلوكه وشمائله على أوفى ما يكون الهدف في التماس القدوة والتطبيق لشريعة الله الغراء ، ومن علامات ارتفاع مفاهيم النبوة المحمدية عن الوثنية والمادية أنه ليس له تمثال أو صورة ، ولم يتخذ مولده مبدأ للتاريخ الاسلامي ، ولا سمي الدين باسمه ، ولم يصب كتابه أي شبهة ، ولقد كان ، ولا يزال ، وسيظل النموذج الاسمى ، والمثل الكامل ، والاسوة الحسنة القائمة أمام كل المجاهدين والمصلحين والنوابغ وعامة المسلمين .